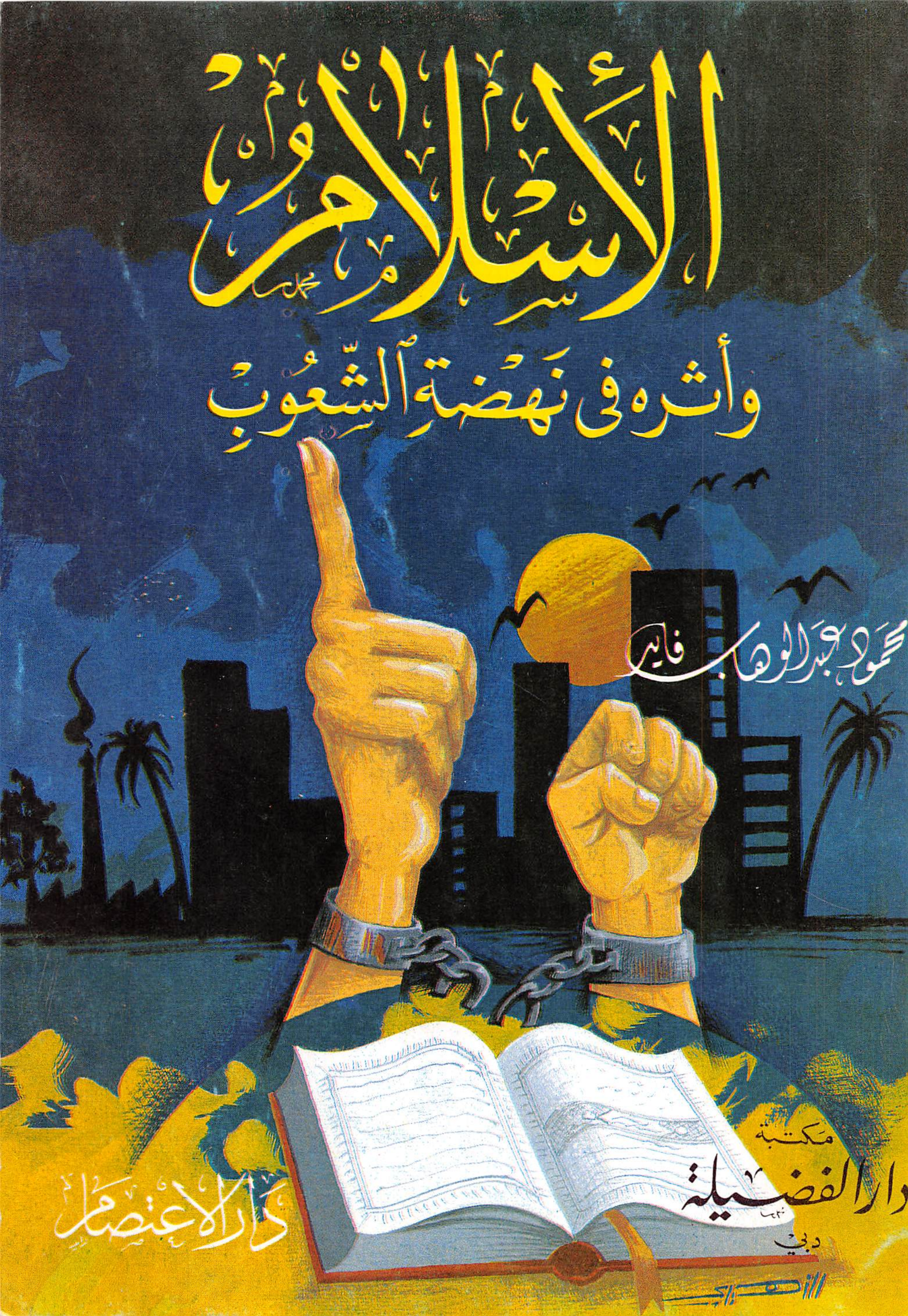

الإسلام
وأثره فى نهضة الشعوب
محمود عبد الوهاب فايد
مكتبة
دار الفضيلة
دبي
دار الاعتصام

مكتبة
دار الفضيلة
دبي
دولة الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ١٥٧٦٥٠ تليفون : ٦٩٤٩٦٨

محمود عبد الوهاب فايد



الطبعة الثانية
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مكتبة
دار الفضيلة
دبي
دولة الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ١٥٧٦٥٠ تليفون: ٦٩٤٩٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين واشهد ان لا إله إلا الله ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

اما بعـد :

فإن دار الاعتصام يسرها ان تعيد طبع هذه المحاضرة القيمة التى القاها فضيلة الاستاذ الشيخ محمود عبد الوهاب فايد بالكويت ، وقد ابان فيها فضل الإسلام واثره فى حياة الشعوب التى آمنت به ، ودفع عن الإسلام - على وجه الخصوص - تلك الفرية التى راجت بين ابناء هذا العصر : « الدين مخدر الشعوب » .

وجزى الله فضيلة الاستاذ خيرا على ما قدم وما يقدم من جهود مشكورة فى خدمة الإسلام والمسلمين آمين .

مقدمة

دعا الأستاذ عبد الفتاح زكى ناظر مدرسة السالمية بالكويت فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عبد الوهاب فايد إلى إلقاء محاضرة بعنوان (الإسلام وأثره فى نهضة الشعوب) وقد لبى فضيلته هذه الدعوة شاكراً مشكوراً وفى مساء الأربعاء ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩ هـ - ٢٣ ديسمبر ١٩٥٩ م توافد المدعوون وعلى رأسهم رؤساء البعثات ورجال التربية والتعليم وخيرة المثقفين والموظفين .

وقبل أن يعتلى فضيلته المنصة وقف الأستاذ مالك الحاج إبراهيم المقدادى وهو من أساتذة المدرسة الأجلاء فقدم فضيلته إلى المدعوين قائلاً :

(فضيلة الأستاذ الشيخ فايد رجل له تاريخ مجيد وماض فريد ، عرفته النوادى محاضراً وخطيباً ، وعرفته الصحف كاتباً وأديباً ، وله محاضرات نافعة ، وبحوث ممتعة ، ومقالات رائعه وكان له موقف مع فاروق الملك المخلوع يدل على إبائه وعزته ، وفرط حرصه على كرامته ، وقد نوهت به مجلة (التحرير) القاهرية فى عددها الصادر

فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦م صفحة ١٥ ففى سنة ١٩٤٦ تقدم فضيلته لامتحان الشهادة العالمية من كلية أصول الدين وظهرت النتيجة وكان ترتيبه الأول فاستدعاه الملك المخلوع لمقابلته تكريماً له على تفوقه . وعندما تقدم لمصافحته وقف فضيلته رافع الرأس عزيز النفس وصافح الملك المخلوع دون أن يحنى قامته أو يطأطىء هامته كما جرت التقاليد فى ذلك الحين ، والآن أترك مكانى ليحاضرنا فضيلته فى موضوع (الإسلام وأثره فى نهضة الشعوب) سائلين الله سبحانه أن يمد فى حياته ويديم النفع به .

وبعد أن انتهى الأستاذ مالك من كلمته وقف فضيلته فشكر الحاضرين باسم الأزهر الذى ظل قروناً طويلة يخدم الدين ويدافع عن الإسلام والمسلمين ويحارب المارقين والملحدين ، ثم ألقى محاضرته القيمة .. وإلى القراء نصهـا :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد ..
فهذه محاضرة فى (الإسلام وأثره فى نهضة الفرد والأمة)

أيها السادة ، أيها الأبناء :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . أما بعد : فقد دعيت لإلقاء هذه المحاضرة فى زحمة الامتحانات ، فقبلت هذه الدعوة معتزماً أن ألقيها ارتجالاً ، ثم طلب إلى قبل موعدها المحدد بيومين أن أقدمها مكتوبة فاستجبت لهذه الرغبة وأنا أعلم أن موضوعاً كهذا جدير بأن تؤلف فيه الكتب والرسائل لأنه واسع الأطراف ، متعدد الجوانب ، متشعب النواحى فليس بممكن أن تكفى فيه محاضرة خاطفة . استجبت لهذه الدعوة وقلت فى نفسى (مالا يدرك كله لا يترك كله) .

واستعنت بالله سبحانه : ﴿ **وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ .

أيها السادة ، أيها الأبناء :

فى مطلع هذه المحاضرة أرانى مضطراً إلى أن أصارحكم بهذه الحقيقة المرة ، وهى أنى لم أجد ديناً فى هذه الأيام تضافر على خذلانه أبناؤه وأعداؤه سوى الإسلام .

انظروا معى تروا اليهودية وهى دين قلة من الناس انبثوا فى دول العالم ، وتفرقوا فى أنحاء الأرض ، انظروا تروها يتجمع أهلها على البعد ، ويتناصرون دون تعارف ، ويقيمون لها دولة على حساب الإسلام وأرض الإسلام وعلى رغم أهل الإسلام ، ولا تزال شهيتهم مفتوحة ، وأفواههم فاغرة مستعدة لالتهام جزء آخر يغفل المسلمون عنه ، وأقاموا هذه الدولة فى قلب الوطن العربى وبين ملايين المسلمين ، أقاموها باسم النصوص التى أولوها وحرفوها من التوراة ليشعلوا فى القلوب جذوة الحماس لإقامة هذا الوطن . أعلنوا قيام دولتهم وسموها بـ (إسرائيل) وهو عنوان دينى ، واسم لنبى من أنبياء الله به يتعلقون ، أعلنوا هذا ولم يخفوه وأبدوا تعصبهم الدينى فى زمن يعاب فيه على المسلمين أن يتحمسوا لدينهم ، ويهتموا بدعوته ، ويقوموا بنصرته ، يعاب فيه على قادة المسلمين وزعمائهم أن يذكروا اسم الإسلام على لسانهم ، فإذا ذكره أحدهم فى كلمة له أو خطبة ، ولو فى مقام الدفاع عن الوطن وضد الأخطار عنه زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وتوافد الصحفيون الأجانب ليسألوا ما لها .

يصنع هذا اليهود دون تهيب العالم ، وإذا كان ما صنعوه عجباً فأعجب منه أن يختاروا لهذا الوطن الذى استحلوا اغتصابه ، واستباحوا انتهابه وأراقوا فيه الدماء ، وقتلوا أصحاب الحقوق الشرفاء ، واعتدوا فيه على الأطفال والنساء ، أعجب من هذا أن يسموا هذه الجريمة المنكرة باسم نبى الله إسرائيل وإسرائيل عليه وعلى

نبينا الصلاة والسلام براء منهم ومن مآسيهم التى تقشعر منها الأبدان ، وتنكرها جميع الأديان ، ولكن لا عجب فهذه سنتهم فى التزوير والتلفيق والتحريف وقلب الحقائق . لا عجب فقد أرادوا لدولتهم أن تحمل طابع القداسة الدينية ليكون إجلالها أجلالا لإسرائيل والحفاظ عليها حفاظاً عليه نفسه ، وليجمعوا حولها كل المؤمنين به وليستثيروا باسمه العواطف والأحاسيس ليهب نحوها ويولى شطرها من يتحمس للدفاع عنها بالنفس والنفيس .

أيها السادة :

انظروا تروا اليهودية قد تعصب لها أتباعها على قلتهم وتفرقهم فى أنحاء الأرض ، تعصبوا لها فأقاموا دولة وسموها باسم دينى ليظل اسمها يثير العاطفة الدينية على الدوام فى قلوب يهود العالم ، ويستدر عطفهم على بذل النفس والنفيس فى سبيل تقويتها وتنميتها والدفاع عنها .

هذا هو حال اليهودية وحال أتباعها كما ترون ، فما هو حال المسيحية ؟ انظروا معى تروا دول الغرب المسيحية تتعصب لدينها وتحميه بكل الوسائل ، وتنشره بكل الطرق وتؤمن الدعاة له ، وتنفق عليهم بسخاء – وكلنا يعلم ويسمع عن البعثات التبشيرية ، وما تبذله لها دولها من تعضيد وما تقدمه لها من معونه ، كلنا يعلم أن المسيحية تجد لها دولا ولا أقول تجد دولة واحدة بل أقول تجد دولا تعمل لها فى السر والعلن وتخدمها بالقول والفعل ، وللبابا سلطان روحى ينحنى له زعماء العالم المسيحى ،وماقصة الرئيس الأمريكى(١) مع البابا فى رحلته يوم ٦ ديسمبر الحالى ببعيدة ، ومن أيام وفى أواخر

(١) الرئيس الأمريكى ايزنهاور وقد انحنى أمام البابا وطلب نصائحه ودعواته .

هذا الشهر شهر ديسمبر سنة ١٩٥٩ أعلن ميلاد الجمهورية القبرصية ، وتولى زعيم دينى مسيحى منصب رياسة الجمهورية .

هذا هو حال المسيحية وحال أتباعها كما ترون ، ينشرونها وينصرونها ، ويضعون السياسة فى خدمتها وحمايتها وتحت طلبها .

والآن أيها الإخوة – تعالوا نجلس على بساط البحث لننظر هل الإسلام دين يجرنا إلى الوراء أو يدفعنا إلى الأمام ؟ هل هو دين يهبط بنا إلى الحضيض أو ينهض بنا ويرفعنا إلى أوج الكمال ؟ تعالوا ندرس الإسلام دراسة عاجلة خاطفة من مصادره الثابتة من القرآن الكريم والسنة المطهرة حتى لا يكون هناك مجال للريب أو منفذ للجدل أو المماراة .

ما هو الإسلام وأثره فى حياة الشعوب التى دانت به ؟

الإسلام هو خاتم الأديان السماوية ، وهو دين الله الذى نزل من السماء على نبيه الذى اصطفاه ليوثق العلاقة بين الخالق والمخلوق على أساس العقيدة الصادقة ، والعبادة الخالصة ، وليوثق العلاقة بين المخلوق والمخلوق على أساس العدل والرحمة هذا هو الإسلام فى عبارة مجملة ، ولكى نوضح هذا لابد لنا من تفصيل :

دعانا الإسلام إلى الإيمان بالله الذى خلقنا وسوانا ، ومنحنا حواسنا وقوانا ، وأنعم علينا ورعانا ، ويعلم ظواهرنا وخفايانا قال تعالى : **﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾** .

ويتعمد الإسلام وهو يدعو الإنسان إلى الإيمان بالله أن يستثير عقله وسمعه وبصره وحواسه ويحمله على النظر والتفكر فى آيات الله الكونية وآياته التنزيلية ليهتدى إلى ربه ، ويسعد بمعرفته وحبه ويكتشف أسرار خلقه ويزداد إيماناً به وقرباً منه فيقول سبحانه : ﴿ **أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء** ﴾ ﴿ **أولم يتفكروا فى أنفسهم** ﴾ ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ .

ويعلن المولى سبحانه أنه سيسألنا عن عقولنا وحواسنا فيحملنا على حسن استخدامها والانتفاع بها وليوجهها توجيهاً صالحاً يعود بالخير على الإنسان ومجتمعه ، وفى هذا يقول سبحانه : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ : وينعى القرآن على أولئك الذين يغفلون حواسهم ويهملون عقولهم فيشبههم بالأنعام وفى ذلك يقول : ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل** ﴾ .

هكذا يأخذ الإسلام بيدنا ليصلنا بالله عن طريق العقل والمنطق والحجة والبرهان فلم يقل لنا كما تقول بعض الأديان: (اعتقد وأنت أعمى) بل قال فكر قبل أن تعتقد وانظر فى خلق الله وآياته قبل أن تؤمن ولم يحملنا على الإيمان بالقهر أو الإكراه بل نص القرآن على منع ذلك فقال سبحانه : ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ وقال : ﴿ **لكم دينكم ولى دين** ﴾ وقال : ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** ﴾ روى ابن جرير

عن ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب نزول هذه الآية أن رجلا من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلماً فقال للنبى ﷺ : ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ **لا إكراه فى الدين** ... ﴾ الآية .

نعم .. لا يحملنا الإسلام على الإيمان كرهاً ، ولا يدفعنا إليه قسراً ، وإنما يدعونا إليه بالحجة والإقناع ، ويصغى إلى خصومه ويسجل شبههم فى كتابه ويفندها واحدة بعد أخرى وينتهى بتسجيل العقيدة الصحيحة : ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون** ﴾ ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ ﴿ **ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون** ﴾ ﴿ **بديع السموٰات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ** ﴾ ﴿ **أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون أم خلقوا السموٰات والأرض بل لا يوقنون** ﴾ويقول سبحانه : ﴿ **آلله خير أما يشركون أمن خلق السموٰات والأرض وأنزل لكم من السماء**

ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ .

وهنا نرجو أن نقف وقفة قصيرة فالقرآن بعد أن أقام الحجة على المعاندين وبعد أن أبطل ما قرروه ، وأثبت ما أنكروه لم يشأ أن يحرمهم من حق الدفاع عن مذهبهم بل أعلن استعداده لسماع ما بقى لديهم من قول ، وما عندهم من برهان إن كان لديهم برهان . ففى ختام الآيات السابقة يقول سبحانه : ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ وفى هذا الختام ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ تحميس لهم وإثارة لشعورهم ليحملهم على أن يقدموا ما لديهم من حجة أو ما عندهم من دليل . ولا يحمسهم على معارضته إلا إذا كان قادراً على تفنيد ما يقدمونه وتزييف ما يدلون به . ولولا ذلك ما وقف القرآن منهم موقف التحدى والاستفزاز والإثارة والإعجاز : ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ .

أيها الإخوة :

هكذا ترون الإسلام فحينما يطالبنا بأول ركن من أركانه وهو شهادة ألا إله إلا الله يطالبنا فى نفس الوقت أن نفتح عقولنا وأسماعنا وأبصارنا وحواسنا فلا ندخل فيه إلا من أبوابها ، ولا نؤمن به إلا عن طريقها ومن أجل ذلك يقول تعالى لرسوله الأمين : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ .

آمن أسلافنا الأوائل بخالقهم إيماناً قوياً راسخاً آمنوا به إيماناً فتح عقولهم ونمى أذهانهم وأرهف حواسهم ووصلهم بالله وبأنفسهم وبالعالم أجمعه ، سفليه وعلويه ، أرضه وسمائه ، هوائه ومائه نجومه وشهبه وأقماره ، حيوانه ونباته وأشجاره .. هذا هو أثر الإيمان بالله فتح عيونهم على كل ما فى العالم ودعاهم إلى النظر فيه فهل يمكن أن يقال أن الإيمان بالله جذب المسلمين أو يجذبهم إلى الوراء أو يجرهم إلى الخلف أو أعمى أبصارهم وبصائرهم .. كلا فتلك تهمة برأ الله الإسلام منها ، وعقيدته الأولى تقضى على هذا الاتهام ولا تسمح بتوجيه إليه ..

أيها الإخوة :

تعالوا بعد ذلك نبحث عقيدة الرسالة وعقيدة البعث لنعرف أساسهما وآثارهما ..

لقد خلق الله الإنسان ومنحه الغرائز والقوى التى يمكن له أن

يوجهها نحو الخير أو الشر قال تعالى : ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾ .

ومن رحمة الله بالبشر أنه أرسل إليهم رسلا من أنفسهم ومن أنفسهم ليكونوا دعاة له ، وهداة لخلقه ، وليكونوا مثلا طيبة ، وقدوة صالحة ، وليكونوا حجة له على عباده. قال تعالى : ﴿ **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس** ﴾ وقال : ﴿ **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ وقال : ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى** ﴾ وقال : ﴿ **ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين** ﴾ .

والإيمان بالرسل يقوى الإيمان بالله ، ويحمل فى طواياه تنزيه الله تعالى عن العبث والظلم والسفه ، ويضع أمام الناس مثلا بشرية عالية يحتذونها ويقتدون بها ، ويسيرون على منهاجها فى مراقبة الله ، والإحسان إلى الناس دون انتظار أجر ، وهذا من شأنه أن يقوى عزم الإنسان ويحمله على كبح شهواته ، ومنع نزواته ، والسمو بنفسه ، والبعد عن مواطن التهم والريب . أما عقيدة البعث فالقرآن يكشف أسرارها وآثارها ويتولى الرد على المنكرين لها ، فيتحدث عن عالم الآخرة ويصف الحياة الأخروية ويعلن فى وضوح أن كل إنسان سيحيا بعد موته لينال المحسن ثوابه ، ويأخذ المسيء عقابه ، فلا ينجو ظالم ، ولا يضيع حق مظلوم ولا يستوى محسن ومسيء وطائع

وعاص قال تعالى : ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ،وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون ، إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ .

وكعادة الإسلام يتسع صدره لمناقشة الجاحدين والكافرين فيسجل القرآن شبههم ويرد عليها ويقطع ألسنة المكابرين : ﴿ قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة ﴾ ﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ وهذا إيجاز فيه إعجاز ولا يتسع الوقت لبيان سره ، ويكفينا أن نقول إن الآية أقامت حجة ودفعت شبهة قررت دليل قدرة الله على البعث فمن ينشىء الخلق أول مرة قادر على إعادته : ﴿ وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ ونفت شبهة اختمرت فى ذهن الكفار وهى أن هذه الأجزاء قد اختلطت بالتراب وقد تكون دخلت فى جسم إنسان أو حيوان فكيف تكون الإعادة ، يرد عليهم المولى بقوله : ﴿ وهو بكل خلق

عليم ﴾ ومثله قوله تعالى : ﴿ **فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ** ﴾ .

هكذا يقرر القرآن عقيدة الجزاء ويرد على الجاحدين والكافرين وبهذه العقيدة يبادر الإنسان إلى امتثال ما أمر الله به والكف عما نهى عنه ، ويسارع إلى ما كلف به طمعاً فى الثواب أو خوفاً من العقاب ، نعم بهذه العقيدة يتقى الإنسان ربه وتقوى الروابط بين الناس ، ويتم عمران العالم ، وتختفى الجرائم أو تندر ، وتقل المنكرات أو تزول ويصبح المجتمع مجتمعاً فاضلاً كاملاً ...

هذه عقائد الإسلام وهى – كما رأينا – تزكى النفس وتربى الضمير وتنمى الإحساس ، وتفتح آفاق الكون أمام أعين النظار ، وتزيد فى المعرفة وتلهم الإنسان الحكمة فى الأقوال والأفعال والأفكار ، وتهديه إلى الخير وإلى سواء السبيل ...

وعلى هذا النهج جاءت فروع الإسلام تهدف إلى الغاية التى تهدف إليها أصوله ، وتعمل على تهذيب الإنسان وخلق مجتمع فاضل طاهر يسوده الصفاء والحب والإخاء والعدل والسلام . فالصلاة والصوم والزكاة والحج كلها تجمع بين حق الله وحق الإنسان ، وفيها منافع للناس يشهدونها ويلمسون آثارها فى حياتهم ، إلى جانب كونها عبادة لربهم . ويلتزم الإسلام فى كل ما شرعه أن يوافق مقدرة الإنسان ويناسب طاقته ، قال تعالى : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ وقال : ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم وخلق**

الإنسان ضعيفاً ﴾ وقال : ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ وقال : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ..

ويدل على مسايرة الإسلام لطبيعة الإنسان وتقديره لظروفه وخصائصه أنه اهتم بشئون دنياه كما اهتم بشئون أخراه ، فلم يفرض عليه أن يعتزل الناس وينقطع لعبادة الله ، ويعرض عن مطالبه الجسمية وغرائزه النفسية ، كلا بل استجاب لها ونظمها وهيأ سبلها فى حدود الاعتدال والكمال . روى البخارى بسنده عن عبد الله ابن عمر بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ فقلت : بلى يا رسول الله . قال : فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً وإن لزورك عليك حقاً) ، وعن أنس رضى الله عنه قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً وقال آخر أنا أصوم الدهر كله ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا .. أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى) .

وهكذا رتب الإسلام حياة الإنسان ،ووضع لها أكمل نظام ، راعى مطالب جسمه (إن لجسدك عليك حقاً) ، وراعى مطالب

غريزته الجنسية (وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى) وراعى مطالب أهله (إن لزوجك عليك حقاً) وراعى حقوق الناس (إن لزورك عليك حقاً) .

واهتمام الإسلام بجسم الإنسان يتجلى فى تقديره لصحته واعتنائه بها ، وقد كان مما تعلمناه عن رسول الله ﷺ دعاؤه فى الصباح والمساء (اللهم عافنى فى بدنى ، اللهم عافنى فى سمعى ، اللهم عافنى فى بصرى) رواه أبو داود ، وعن على أنه قال كنت شاكياً فمر بى رسول الله ﷺ وأنا أقول : اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحنى وإن كان متأخراً فارفعنى ، وإن كان بلاء فصبرنى . فقال رسول الله ﷺ كيف قلت ؟ قال فأعاد عليه ما قال . فضربه برجله فقال : اللهم عافه واشفه) .

ولعناية الإسلام بالصحة حث على النظافة وحض على الطهارة طهارة البدن والثوب والمكان ، قال تعالى : ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ وقال : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ - ودعا إلى تناول الأطعمة الطيبة التى تفيد الجسم وتنميه وتقويه ، ونفر من تناول الأطعمة الخبيثة التى تضر بالصحة وتؤذى بدن الإنسان ، وتجلب له الأمراض والأوصاب قال تعالى : ﴿ **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ ، وأوصاه بالمحافظة على أوعية الطعام وآنية الشراب قال ﷺ : (أطفئوا المصابيح بالليل إذا رقدتم ، وأغلقوا الأبواب وأوكئوا الأسقية وخمروا الطعام والشراب) رواه البخارى ومعنى خمروا : غطوا . وينصح لنا الإسلام بأن نتوسط فى الأكل فلا نعرض

عنه ولا نبالغ فيه قال تعالى : ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**﴾ .
وعندما يصاب الإنسان بداء يدعو الإسلام إلى التماس وسائل العلاج وأسباب الشفاء قال ﷺ « يا عباد الله تداووا » أخرجه الترمذى .
وعندما سئل الرسول ﷺ عن الدواء هل يرد من قدر الله ؟ قال هو من قدر الله » .. (أخرجه الطبرانى)

ويحارب الإسلام الفقر ، فيضعه بجانب الكفر ، ويستعيذ منه الرسول ﷺ كما يستعيذ من الكفر فيقول: «**اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر**» أخرجه أحمد عن أبى بكرة . ويرسم لنا الخطة الموفقة فى مكافحته فيحث على العمل لأنه مفتاح الرزق وباب الكسب قال تعالى: ﴿**فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه**﴾ وفى يوم الجمعة حيث يتعين الاجتماع لذكر الله والصلاة ينقلنا من مواطن العمل إلى المسجد ثم يعود بنا إلى مواطن العمل بعد الصلاة قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** ﴾ وينوه بفضل العمل ويشيد به فيقول الرسول ﷺ « **إن الله يحب المؤمن المحترف** » رواه الطبرانى ، وينهانا عن البطالة ويحذرنا من التسول فيقول الرسول ﷺ « ولا تزال المسألة بأحدكم حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم » رواه البخارى ومسلم . ويضع الرسول ﷺ السعى على المعاش فى مصاف أركان الإسلام وإلى جوارها بل إنه لينوه به فيروى عنه : « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ويكفرها الهم فى طلب المعيشة » (رواه الطبرانى)

واستجابة لحق البطون ، ونزولا على مطالبها ، واعترافاً بحق الفقراء والمحتاجين فى أن يعيشـوا مع الأغنياء عيشة كريمة يشاركونهم فى خيرات الأرض التى يعيشون عليها ، وينعمون معهم بما جاد به الله عليهم ، من أجل هذا كله أوجب الإسلام الزكاة ، وجعلها حقاً لهم لا منة يمتن بها عليهم ، وأوجب على الدولة أن تأخذها طوعاً أو كرهاً .

نعم .. من أجل الفقراء شهر الحاكم الإسلامى أبو بكر رضى الله عنه سيفه فى وجوه الذين منعوا الزكاة وقال كلمته المشهورة : (والله لو منعونى عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها) (رواه الستة)

ولم يكتف الإسلام بهذا بل وضع الأساس لإقامة مجتمع تعاونى تسوده المحبة وتسرى فيه روح الأخوة شعاره قوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ وقوله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » روه الشيخان . وقوله عليه الصلاة والسلام : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم . وقوله فى حديث آخر :« من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » . قال أبو سعيد راوى الحديث : فذكر لنا رسول الله ﷺ من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل . (رواه مسلم)

ويضرب الرسول ﷺ المثل الأعلى فى الاهتمام بالفقراء والعمل على راحتهم . روى الإمام أحمد أن عليا وفاطمة رضى الله عنهما ذهبا إلى رسول الله ﷺ فقال على :(والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى ، وقالت فاطمة : قد طحنت حتى مجلت يداى وقد جاءك الله بسبى وسعة فأخدمنا . فقال رسول الله ﷺ :« والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم » .

هكذا أيها الإخوة حارب الإسلام الفقر بالعمل ، وقضى على البطالة والكسل ، وقدم المعونة للمحتاجين البائسين ووفر لهم حياة طيبة هنيئة فى ظلال الدولة الإسلامية .

بعد ذلك نجد الإسلام يحارب الجهل ويقعد له كل مرصد وفى الآيات الأولى التى نزلت من القرآن يقول تعالى : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ فيحث على القراءة وهى باب المعرفة،وطريق العلم،ويضع نعمة التعليم عقب نعمة الخلق ليشعرنا بأنه لا شىء بعد نعمة الوجود أعظم من نعمة العلم . قال تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ويحض المولى رسوله ﷺ على أن يستزيد من العلم فيقول ﴿**وقل رب زدنى علما**﴾وهذا ليكون لنا فيه قدوة طيبة وأسوة حسنة ، فلا يغتر إنسان بعلمه ، بل يستقل ما لديه ، ويستزيد من العلم فى كل آن ﴿**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة**﴾

ولا يعنى الإسلام بالعلم هذا العلم الذى تعارف الناس على تسيميته بالعلم الدينى فكل العلوم النافعة علوم دينية ، فالطبيعة والجغرافيا والكيمياء وغيرها من العلوم الحديثة علوم دينية ويجب أن نتعلمها لأنها سبيل القوة فى هذا العصر وقد أوجب الله علينا أن نتخذ جميع الوسائل التى تزيد قوتنا ، وتحفظ هيبتنا . فقال سبحانه : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ فى القرآن يقول تعالى : ﴿**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات، مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ فبعد أن ذكر مظاهر الطبيعة وظواهرها أثنى على العلماء ليشعرنا بفضل الذين يبحثون فى العلوم الطبيعية والإنسانية والحيوانية والجيولوجية والنباتية ويتعرفون على أسرار الله فى كونه ، ويستنبطون منها عظمة الله ودقة صنعه وواسع حكمته ، ويزدادون إيماناً به .

أيها الإخوة هكذا يحض الإسلام على العلم . وقد دعانا إلى معرفة الله والإيمان به عن طريق النظر فى الكون وإجالة الفكر فيه ، وكأنه يوحى إلينا بأن نتعلم العلوم الكونية لنعرف سر الصنعة الإلهية ولو فهم المسلمون معنى قوله تعالى : ﴿ **قل انظروا ماذا فى السمٰوات والأرض** ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ **ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السمٰوات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** ﴾ . لو فهموا هذا المعنى فنظروا فى السموات وما فيها

ونظروا فى الأرض وما فيها ، وأدركوا أن الله سخر لهم ما فى الأرض وما فى السماء لاستطاعوا أن يأخذوا من الأرض طريقاً إلى السماء ولتحقق لهم معنى التسخير ولكانوا أسبق الناس إلى اكتشاف الأقمار الصناعية ، والقذائف الصاروخية .

أليس من العجب - أيها الإخوة - أن يوجه الله هذا الخطاب إلى المسلمين من مئات السنين : ﴿ **سخر لكم ما فى السموٰات وما فى الأرض** ﴾ ﴿ **انظروا ماذا فى السموٰات والأرض** ﴾ ومع هذا يغفل عنه المسلمون فى عصرنا وهم أول المخاطبين به ثم يسبقهم إلى فهمه وتحقيقه أولئك الذين كفروا به .

أيها الإخوة:

لقد فهم الإسلام أسلافنا ، فهموه على أنه يدعو إلى العلم بأوسع معانية فبرزوا فى كل فن ، وسبقوا فى كل علم ، ونبغوا فى كل مضمار ، وكانوا أساتذة الغرب فى سائر نواحى الحياة ، ولو استمر مسلمو اليوم فى طريق أسلافهم الذى سلكوه لكنا اليوم سادة العالم وأصحاب النفوذ والسلطان ، ولكنا حدنا عن الطريق . وتنكبنا سبيل الرشد . فوقفنا حيث كنا بل رجعنا إلى الوراء ونقب الغرب عن كنوزنا ونفائسنا فانتفع بها وواصل السير فأصبح صاحب الكلمة .

وقد قلت فى قصيدة لى مشيراً إلى ما وصلنا إليه :

يا ويح قومى سخر المولى لهم   مافى الورى لكنهم جهلاء
أسلافنا فهموا الكتاب فدققوا   فى الكون حتى برز العلماء

فى الطب فى الأفلاك فى الجغرافيا ... فى الكيمياء فطاحل نبغاء
تركوا لنا فى كل فن ثروة ... من كدهم وأضاعها الأبناء
جدوا المسير وقد توقف سيرنا ... هل يرتجى للخاملين ثراء
ذهبوا بعلم ثم بؤنا بعدهم ... بالجهل وهو معرة وشقاء
الغرب سار بضوئنا حتى أتى ... بعجائب دهشت لها الحكماء
فخذوا من الغرب الجديد ولا تنوا ... فالكون يدرك سره الخبراء
لا بأس بالتقليد فى فن وفى ... علم يجد لنيله العظماء
أما المراقص والمهازل فهى لا ... تجدى وليس بها يقوم بناء

أيها الإخوة :

هكذا نرى الإسلام يحارب الفقر والمرض والجهل ويدعو المسلمين إلى تلمس وسائل القوة والعزة والمنعة والأخذ بأسباب المجد والرقى ..

بقيت ناحية يجب أن نعرف رأى الإسلام فيها وقد طال فيها الجدل وغم فيها وجه الصواب على كثير من الناس وهى (قضية المرأة) ورأى الإسلام فيها واضح وليس فى حاجة إلى هذا الجدل العنيف فالمرأة إنسان كالرجل وهى منه وهو منها ومنهما يتكون النوع الإنسانى قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** ﴾ وهى مكلفة كالرجل وواجب عليها أن تتعلم وتعمل وأن تسهم فى بناء المجتمع بما يتفق مع طبيعتها ومقدرتها وتأخذ جزاءها على ما تصنع من خير أو شر ، كما يأخذ الرجل جزاءه على ما يصنع سواء بسواء قال تعالى : ﴿ **فاستجاب**

لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾ وقال : **﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾** وقال : **﴿ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزا به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾** .

وقد أعطى الإسلام للمرأة ما أعطاه للرجل من حرية إبداء الرأى وطلب منها - كما طلب من الرجل - أن تدعو إلى الله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتنصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . قال تعالى : **﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾** وفى القرآن سورة تسمى سورة النساء ولا يوجد سورة تسمى باسم سورة الرجال وفى هذا تكريم لهن ورفع لشأنهن واهتمام بهن وعناية بشئونهن ، وفيه سورة سميت باسم (المجادلة) وهى عنوان عن امرأة جادلت الرسول ﷺ وحاورته وأطالت الجدال والحوار معه ونزل الوحى ينصفها ويقر حوارها للرسول ﷺ ولا ينكر عليها ما صنعت وفى ذلك يقول تعالى : **﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾** وهذا دليل على أن للمرأة أن تبدى رأيها وتقول كلمتها وخاصة فيما يتعلق

بشأنها . وقد حفظ التاريخ لنا صوراً من هذا ففي زمن عمر رضى الله عنه وقفت امرأة ترد عليه حينما حدد المهر ونهى الناس عن أن يزيدوا على أربعمائة درهم وقالت له : مهلا يا عمر أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبينا** ﴾ فرجع عمر عن قوله وقال كلمته المشهورة : (أخطأ عمر وأصابت امرأة) وذات يوم كان عمر يسير فى الطريق فاستوقفته امرأة وقالت : (قد كنت من قبل عميراً ثم صرت عمر ثم أصبحت أمير المؤمنين فاتق الله واتبع سبيل الحق) فبكى عمر حتى اخضلت لحيته فقال لها رفيق كان يسير معه (كفى أيتها المرأة فقد أبكيت أمير المؤمنين) فنهره عمر وقال له : (لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نتقبلها) .

هذا هو موقف الإسلام من المرأة أعطاها حرية الرأى وحرية التصرف وجعل لها شخصية مستقلة أمام الله والناس وإلى الآن وفى فرنسا بالذات بلد الحريات لا تزال المرأة ممنوعة من التصرف فى مالها إلا بإذن زوجها ، وهذا حق منحه الإسلام لها من مئات الأعوام . وفى البلاد الغربية والبلاد التى قلدتها يقال مسز فلان فتنسب إلى زوجها بدلا من أبيها وهذا أمر يأباه الإسلام ولا يرضى عنه لأن فيه ضياعاً لشخصية المرأة المستقلة وهدماً لكيانها ومن عجب أن هذه العدوى سرت إلينا فى الأوساط التى تنادى بالمساواة بين الرجل والمرأة من غير وعى ولا إدراك . شىء واحد - أيها الإخوة - هو الذى يحرص عليه الإسلام وهو أن تظل المرأة بعيدة عن كل ما يخدش سمعتها أو يجرح

كرامتها قال تعالى : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ هذا هو موقف الإسلام من المرأة فالذين يقولون إن دين الإسلام يهضم المرأة ويشل نصف المجتمع يتجنون على الإسلام ويرمونه بما هو براء منه .

أيها الإخوة :

بقيت لنا كلمة يجب أن نقولها وهى أن الإسلام يهتم بجهاز الدولة ويحرص على أن يكون الأمر شورى بين المسلمين وفى ذلك يقول تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ **وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾ ولو كان أحد يستغنى عن المشورة لقوة عقله وثاقب رأيه واستنارته بوحى الله لكان رسول الله ﷺ ولكن على الرغم من هذا نجد المولى يكلف رسوله بمشاورة المسلمين ، ليستن به من بعده ، وقد كانت الشورى فى عهد رسول الله على أوسع نطاق ، فلكل إنسان فى الدولة الإسلامية عربياً كان أو أعجمياً أن يبدى رأيه ويقول كلمته فيما يعرض عليه . وفى غزوة الأحزاب استشار الرسول أصحابه فأشار عليه سلمان الفارسى بإقامة خندق حول المدينة فاستحسن الرسول الفكرة وبادر بتنفيذها ، ولم يرض أن يوجه

الأوامرإلى جنوده وهو ينام على سريره أو يجلس على فراشه بل كان يعمل معهم وهو يقول

(باسم الله وبه بدينا .. ولو عبدنا غيره شقينا .. وحبذا ربا وحب دينا) .

وبجانب الشورى التى قررها الإسلام يوصى أيضاً باتباع العدل ومراعاة الحق والقضاء على الإمتيازات ، وتطبيق أحكام الله على الكبير والصغير وهنا أذكر واقعتين فيهما عظمة وعبرة يروى أن يهودياً اشترى من الرسول ﷺ تمراً سلما على أن يتسلمه من الرسول فى موعد محدد ، وقبل حلول الموعد حضر اليهودى وطلب من الرسول التمر فأرجأه الرسول حتى يحين الموعد فغضب اليهودى وقال : (إنكم يا بنى عبد مناف قوم مطل) فسمعه عمر فثار واستأذن الرسول فى ضرب عنقه فغضب الرسول ﷺ وقال: « لقد كنت أنا وهو أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى » ثم أمر بأن يدفع له حقه ويزاد عليه عشرون صاعاً جزاء ما روعه) . هكذا أيها الإخوة نجد الإسلام لا يعرف البغى ولا العدوان حتى مع المخالفين فى الأديان بل نراه يحمى دماءهم وأموالهم .

مثل آخر هو أن الرسول ﷺ كما روى أبو يعلى والطبرانى صعد المنبر يسنده أهله فى آخر حياته وفى مرض وفاته فقال : « من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد منه ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقد منه ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالى

فليستقد منه لا يقولن رجل إنى أخشى الشحناء من قبل رسول الله ﷺ ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتى ولا من شأنى ألا وإن أحبكم إلى من أخذ حقاً كان له أو حللنى فلقيت الله وأنا طيب النفس فقام إليه رجل فقال يا رسول الله إن لى عندك ثلاثة دراهم قال أما إنا لا نكذب أحداً ولا نستحلفه فيم صارت لك عندى ؟ قال تذكر يوم مر بك مسكين فأمرتنى أن أدفعها إليه ؟ فقال ادفعها إليه يا فضل) بهذا وضع الرسول حجر الأساس لإقامة دولة تعيش فى مأمن من القلق والاضطراب والفساد والاستبداد وقد اشتهر فى الأمثال (العدل أساس الملك) وبهذا أعلن الرسول ﷺ على الملأ أن ظهره كظهورهم وعرضه كأعراضهم وماله كأموالهم وأنه معهم على سواء لا فرق بينه وبينهم . فلم يقل الرسول ﷺ أنا رسول الله المصطفى ونبيه المختار المفضل أحاسبكم ولا أحاسب وأحاكمكم ولا أحاكم . كلا. بل ضرب لنا المثل الأعلى فى العدالة وشدة الحرص والمحافظة على دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ، وبهذا فرض الرسول على المسلمين جميعاً حكاماً ومحكومين أن يراعوا الحق فى كل تصرفاتهم وأن يدفعوا ما عليهم كما يأخذون ما لهم . حقاً إنه لموقف خالد من مواقف رسول الله ﷺ ، جدير بأن يحفظه كل مسلم ويسير على هداه . وقد استثارنى هذا المشهد فقلت فيه :

أنظر إلى المختار قبل وفاته ... يرسى الأساس ليستقر بناء
ويقول من آذيتهم فليأخذوا ... منى حقوقهم إذا ما شاءوا
كشف الرسول لنا عن استعداده ... ليقاد منه إن بدا إيذاء

وهو الذى قد ظل طول حياته ... يؤذى ويدعو للذين أساءوا
هو رحمة للعالمين فلا أذى ... منه ولا عنت ولا ضراء
أغظم به مثلا يرينا أننا ... والمصطفى عند القضاء سواء
أعظم به مثلا يصون حقوقنا ... طرا فلا يغتالها رؤساء

أيها الإخوة :

هذه هى مبادىء الإسلام مبادىء تصل الإنسان بالله وتصله بالناس وتبنى المجتمع على أساس من الخلق الفاضل والمعاملات الكريمة ، وتنهض بالدولة فتنفى عنها الجهل والفقر والمرض وتنشر بين ربوعها الصفاء والمحبة والعلم والمعرفة والثراء والهناء والصحة والقوة والعزة والسيادة ، والرخاء والسعادة ، والعدل والسلام ، فهل يمكن أن يقال بعد هذا إنه دين يجذب المسلمين إلى الخلف أو يحول بينهم وبين الرقى والنهوض ، كلا فهو دين الإنسانية ودين الرقى والمدنية ،وكما قلت فى قصيدة لى :

وافى الرسول بشرعة قدسية ... ما شابها ظلم ولا ضراء
الناس كلهم سواء خيرهم ... أهل التقى والعلم لا الأمراء
والمسلمون بفضلها قد سادهم ... بعد العداوة ألفة وصفاء
الله ربهم وأحمد قدوة ... لهم وآيات الكتاب دواء
دين العدالة والطهارة والهدى ... لا كلفة فيه ولا غلواء
فتحوا به الدنيا وصاروا سادة ... رحماء ليس كمثلهم رحماء
شهد النصارى واليهود بفضلهم ... والفضل ما شهدت به الأعداء

أيها الإخوة :

بقى علينا أن نرجع إلى التاريخ لنبحث ماذا كان حال العرب قبل الإسلام ثم ماذا كان حالهم بعده ؟ ..

لقد كان العرب أيها الإخوة قبيل الإسلام قبائل متدابرة وعشائر متناحرة لا رابطة تربطهم ، ولا جامعة تجمعهم ، ولا حكومة تسوس أمورهم ، وترعى شئونهم ، ولا دستور يفصل بينهم ، ولا جيش يحمى بلادهم ويصد عدوهم ، كانوا عاكفين على الملذات منغمسين فى الشهوات ، وكانت بلادهم تنتقص من كل جانب ، فالحيرة وما جاورها قد استولى عليها الأكاسرة ، وبلاد الغساسنة والشام قد تحكم فيها القياصرة وبلاد اليمن قد وقعت فى يد الأحباش ومن بعدهم الفرس هكذا كان العرب قبيل الإسلام . وهنا أحب أن أقرر حقيقة يجب أن تدركوها وهى أننى لا أنكر أن للعرب تاريخاً ومدنية فى بعض العصور وبعض الأماكن ففى القرآن حديث عن سبأ وما كان فيها من حضارة وعمران ولكنى أقول إن العرب قبيل الإسلام وقبيل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام قد انحلت عراهم ووهنت قواهم ، وأصبحوا مطمعاً للمغيرين والغاصبين ، ويكفى أن أبرهة الأشرم تسول له نفسه أن يقصد مكة على رأس جيش من الحبشة ليهدم بيت الله الحرام وهو مفخرة العرب ، ومبعث عزهم ، ومناط شرفهم ، ولم يكن لدى العرب فى ذلك الوقت جيش يقابل جيش أبرهة فاستسلموا وفروا إلى الجبال والأودية - ولولا أن تداركهم الله بلطفه وأيدهم بنصره لوقعت الواقعة ..

هذا هو حال العرب قبيل الإسلام ، وأقول مرة أخرى قبيل الإسلام منعاً لكل لبس يخامر الأذهان ، نعم هذا هو حالهم قبيل الإسلام فما هو حالهم بعد أن اعتنقوا هذا الدين ؟ لقد أصبحوا خلقاً آخر فصاروا أمة بعد أن كانوا عشائر ، وتكونت لهم دولة لها هيبتها ونفوذها وأصبح عندهم حكومة تشرف على شئونهم ، ودستور يعطى لكى ذى حق حقه ، وجيش يحفظ بلادهم ، ويحمى دينهم وينتقل إلى بلاد العالم وإلى مملكتى الأكاسرة والقياصرة ليقضى على ما سادها من ظلم واستبداد ، واضطهاد وفساد وليملأ العالم أمناً وإيماناً وسلاماً وإسلاماً ، وحسبنا شهادة جوستاف لوبون إذ يقول (ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب) وما أحسن ما قلته فى تصوير هذه الحالة :

بعث الرسول بأمة أمية ... لا حاكمون بها ولا حكماء
ما عندهم جيش يصد عدوهم ... ولذاك يوم الفيل عز لقاء
فروا من الميدان وانسحبوا بلا ... حرب فكانت فتنة شعواء
قالوا لهذا البيت رب قادر ... يحميه مما بيت الأعداء
فإذا برب البيت يصدر أمره ... للطائرات فيستحر بلاء
ألقت قذائفها فنالت مقتلا ... منهم وأصحاب الحمى شهداء
قد كان هذا حال أمة يعرب ... لكنهم بعد الهدى سعداء
تركوا الهوى وتوحدوا فى دولة ... قد نظمت ويديرها رؤساء
الذكر دستور وفيها حاكم ... ولها جيوش قادها بسلاء
هزموا عروش الروم والفرس الألى ... كانت لهم مدنية زهراء

أيها الإخوة :

هكذا كان الإسلام .. نعم هكذا ملأ الدنيا علماً ومعرفة ونوراً وهداية وأسس الجامعات والمدارس لدراسة سائر العلوم الدينية والكونية ، ولقد نبغ فى فروع هذه العلوم نوابغ اعترف الغرب بفضلهم ، وسار على منوالهم حتى وصل إلى ما وصل إليه اليوم من تقدم فكرى ، ونهوض علمى ، وسبق فى نواحى الحياة الطبيعية ، ومن هؤلاء الأعلام الذين حازوا قصب السبق :

١ - **أبو موسى جابر بن حيان** (١٠١ - ١٦١ هـ)نشأ والده فى الكوفة وكان متحمساً للعباسيين وقد طاف فى البلاد يدعو لهم وانتهى به المطاف إلى طوس وفيها ولد (جابر)ابنه وسعى الأمويون فى القبض على (حيان) فلما وقع فى يدهم بادروا بقتله فعاش جابر يتيماً ، وعندما نجح العباسيون وأقاموا دولتهم ذهب إلى الكوفة وتتلمذ على الإمام جعفر الصادق ويقال إنه أخذ عنه الكيمياء ، وفى عهد المأمون بعد أن ترجمت الكتب الأجنبية أقبل عليها يلتهمها ويحصلها ويستوعب ما فيها ، وبعدئذ بدأ يؤلف ويبتكر ، وهو أول من استحضر حامض الكبرتيك بتقطيره من الشبه وسماه زيت الساج ولهذا الكشف أثر عظيم فى الصناعات وبه تقاس نهضة الأمم فى الصناعة كذلك اكتشف حامض النتريك، والصودا الكاوية وماء الذهب وفصل الذهب من الفضة بالحامض وهى نفس الطريقة التى تستعمل اليوم فى عيارات الذهب ، كذلك ينسب إليه حامض الخليك بتقطير الخل وبها انكشف مفتاح سر كيماوى هو أن

لكل سائل درجة حرارة معينة إذا وصل إليها انفصل عن السائل الآخر الممزوج به ، واستخدم ثانى أوكسيد المنجنيز فى صناعة الزجاج فأكسبه صفاء ، واكتشف طرقاً لتحضير الفولاذ وطلاء يقى الثياب البلل ويمنع الصدأ ، كما اكتشف أن الشبه تساعد على تثبيت ألوان الصباغة ، وصنع ورقاً لا يحترق ، واستحضر كربونات البوتاسيوم وكربونات الصوديوم ، وله مؤلفات منها (كتاب السموم ودفع مضارها) وهو بالمكتبة التيمورية ومبادئ الكيمياء وطبع فى بال سنة ١٥٧٢م وكيمياء جابر وغيرها ، وترجم كثير من كتبه إلى اللغات الأوربية وانتفع بها الأوربيون وأثنوا عليها ثناء عظيماً .

٢ - أبو ريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى المؤرخ الجغرافى الفلكى الرياضى ولد بضاحية من خوارزم فى ذى الحجة ٣٦٣هـ وتوسع فى دراسة الطب والفلك والتقاويم والرياضيات والتواريخ ، وراسل ابن سينا ، ووثق صلته بالفارابى وقد قال فيه المستشرق الألمانى (سخاو) :

« البيرونى أعظم عقلية عرفها التاريخ فقد كان أديباً متعمقاً فى الرياضيات والفلك والتاريخ » ..

وقد أقام بمدينة غزنة فى عهد السلطان محمود الغزنوى ومن مؤلفاته :

(أ) الآثار الباقية عن القرون الخالية فى الفلك وحساب النجوم والتواريخ وفى هذا الكتاب وضع أصول الرسم على سطح الكرة الأرضية مما كان له أعظم الأثر فى تقدم علم الجغرافيا والرسم ، وفيه

عالج نظرية دوَران الأرض حول نفسها ، وخطوط الطول والعرض ، وقد نشره المستشرق (سخاو) سنة ١٨٧٨م .

(ب) ومن مؤلفاته كتاب الصيدنة أو الصيدلة فى علم (الأقرباذين) المواد الطبية وكتاب الجماهر فى معرفة الجواهر .

٣ – ابن الهيثم أبو الحسن بن الهيثم أبو على نزيل مصر نشأ فى عام ٣٥٤ هـ تقريباً ورحل إلى مصر وفيها مات وقد درس فى الأزهر ، وتعمق فى الرياضة والهندسة والطبيعة ، ووعد الحاكم بتنظيم مياه النيل حتى يمكن الانتفاع بمائه فى زراعة أكبر مساحة ممكنة وبهذا يكون أول من فكر فيما يشبه فكرة بناء السد العالى ، ووعده أيضاً بالاستفادة من انحدار المياه من أعلى إلى أسفل وبذلك يكون تفكيره أسبق من التفكير المعاصر فى توليد طاقة كهربية من خزان أسوان ، وقد وضع فى الرياضة خمسة وعشرين كتاباً وفى الطبيعة أربعة وأربعين كتاباً واشتهر بمعلوماته فى الضوء ، وقد اقتبسها منه (كيلر) ويقول عنه (ماكس مارهون) « إن عظمة الابتكار الإسلامى تتجلى لنا فى البصريات » ولا عجب فقد كان لكتاب المناظر قيمة كبرى عند علماء أوربا فقد استطاعوا أن يفهموا على ضوء نظرياته الصحيحة المبتكرة كثيراً من حقائق الضوء والكهرباء .

ومن أفذاذ العرب ابن سينا علامة الطب والفارابى الفيلسوف وابن خلدون العلامة الاجتماعى وابن البيطار الطبيب الصيدلى ، ومحمد بن موسى الخوارزمى علامة الجبر وغيرهم ممن لمعت أسماؤهم وبرز فضلهم ..

ونختم الآن بكلمة عن العلوم التى كان لهم فيها آثار بارزة تذكر فتشكر . ونبين بعض ما سبقوا إليه فى ميادين الحياة وفى فروع العلوم مما له أعظم الأثر فى النهضة المعاصرة .

وقد شهد بفضل العرب البابا اينوست الرابع الذى عاش فى القرن الثالث عشر قال :

(نحن فقراء إلى ما لدى العرب من علم وصناعة وفن) .

هكذا نقل عنه الكردينال تشيمنز ، كما فى تراث الإسلام تأليف ج تراند .

الطب والصيدلة :

قال المؤرخ سديو وجوستاف لوبون ودلامير (إن العرب هم أول من نشر علم تحضير العلاجات ، ومركبات الأدوية وهم أول من استحضر الماء والزيوت بالتقطير والتصعيد بواسطة الآلات التى اكتشفوها كالانبيق وكان حكام الأندلس يهتمون بفحص أدوية الصيدليات منعاً للغش ويسعرونها رفقاً للفقير)وقالوا أيضاً : (وقد برعوا فى الجراحة غاية البراعة حتى إن النساء بالأندلس كن يباشرن العمليات الجراحية بغيرهن من النساء) .

وقد فرض على الأطباء كتابة الوصفات الطبية بخط حسن مع ارشادات لاستعماله . وأول من استعمل خريطة لشبكة العين الطبيب خلف الطولونى المولود سنة ٢٦٤ هـ وله فى العين كتاب (النهاية والكفاية) ، وقد داووا بالكهرباء ، جاء فى كشف الغطاء عن فنون

الأطباء « أول من طبب بالكهرباء الرئيس أبو الحسن بن سينا واستخدمها فى مداواة الصرع والآلام العصبية بواسطة وضع سمك الرعاد فى الماء وإبقائه حياً وتوصيل شريطين من الصلب له يتناولهما المريض فتحصل له رعشة عظيمة لا يقوى على امساكهما زماً طويلاً حتى يلقيهما على الأرض وبعد بضعة أيام من مزاولته يشفى من مرضه » .

ولأبى القاسم خلف بن عباس الزهراوى الأندلسى كتاب (التعريف لمن عجز عن التأليف) وهو أحد الكتب التى قام عليها الطب فى أوربا ، وهو أول طبيب ربط الشرايين ومنع النزيف فسبق بهذا الطبيب الفرنسى (اميروازيياريه) .

وقد استهر بالطب على بك سهل الطبرى ، وأبو بكر محمد ابن زكرياء الرازى وأبو على الحسين بن عبد الله بن سينا وعلى ابن عيسى أشهر كحالى العرب .

الكيميـاء :

إمام الكمياء هو جابر بن حيان وقد سبق ترجمته وذكر بعض ما اكتشفه وللطغرائى فضل كبير فى هذا العلم كما لمسلمة المجريطى الأندلسى شهرة كبيرة وكتابه (رتبة الحكيم) يشهد له بالسبق والتقدم .

الطبيعـة :

قال العلامة المؤرخ سديو : (للعرب فضل عظيم على جميع العلوم ومن ضمنها علم الطبيعة فقد ألف الحسن بن الهيثم فى استقامة

النظر وانعكاسه على المرايا التى تحدث النار وألف الخازن فى علم الضوء والنظر كتاباً فى انكسار الضوء وفى المحل الظاهر للصورة من المرايا المنحنية ومقدار الأشياء الظاهرة وكبر صورتى الشمس والقمر إذا رئيا عند الشروق والغروب وأيضاً الانعكاسات والإنحناء فى الجو) ثم قال : (وهم أول من قرر نظريات انعكاسات الأشعة وانكساراتها وقد اكتشف الحسن بن الهيثم الشكل المنحنى الذى يأخذه الشعاع فى سيرة الجو وأثبت بذلك أننا نرى الشمس والقمر قبل أن يظهرا حقيقة فى الأفق وبعيد الغروب) .

الميكانيكـــا :

قال درابر : (أما فى علم الميكانيكـا فإن العرب عرفوا وحددوا سقوط الأجسام وناموس الجذب العام فى الأجسام وكانوا على علم تام بعلم الحركة وهذا العلم مبْنى على علم الطبيعة بأقسامه خصوصاً الايدروستاتيك ومعنى الأيدروستاتيك (معرفة موازنة السوائل والضغط الذى تحدثه على جدران الأوانى الحاوية لها) فقد كان العرب أول من عمل الجداول المبينة لأنواع الأوزان النوعية وكتبوا أبحاثاً على الأجسام السابحة والغاطسة تحت الماء .

أما فى نظريات الضوء والإبصار فقد غيروا الفرض اليونانى بمر الشعاع من البصر إلى الجسم المرئى وقالوا عكس ذلك وقال سديو : (وقد برع العرب فى الآلات المفرغة للهواء والرافعة للمياه حيث أنهم جعلوا قبلتهم التجربة و النظر بواسطـة الآلات فأحسنوا صنعها) .

الفـــلك :

قال العلامة كاجورى مؤرخ الرياضيات ص ١٠٦ « العرب أول من عرف أصول الرسم على سطح الكرة وقالوا : باستدارة الأرض وبدورانها على محورها وعملوا الأزياج – الجداول الفلكية العظيمة النفع وهم الذين ضبطوا حركة أوجه الشمس . وتداخل فلك هذا الكوكب فى داخل أفلاك أخرى ... » وحقق هذا المؤرخ أن الذى اكتشف بعض أنواع الخلل فى حركة القمر هو أبو الوفاء البوزجانى الذى اخترع آلة الاسطرلاب وهى آلة لقياس أبعاد الكواكب ، وقال بعد ذلك : « وهم الذين حسبوا الحركة المتوسطة للشمس فى السنة الفارسية وحسبوا أهليليجية فلك الشمس فاستطاع البيتانى أن يحدد بعد الشمس عن مركز الأرض فى بعديها الأقرب والأبعد وهم الذين رصدوا الاعتدالين الربيعى والخريفى وكتبوا عن كلف الشمس وعرفوه قبل أوربا » وحقق الدكتور لوثيان الفرنسى أن الذى اكتشف انحراف دائرة البروج هو ابن يونس الفلكى المصرى وقد ترجم كتابه سنة ١٨٠٤ وفى هذا الكتاب أول عمل مقاييس ظل الأرض .

وقال العلامة سديو : (لما اشتغل العرب بعلم الفلك انتبهوا إلى العلوم الرياضية فجاءوا بالعجب العجاب فى الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والميكانيكا و ...) وقال : (وكانوا يستعملون الآلات المدرجة فى أبحاثهم الفلكية والسطوح العلمية والاسطرلاب وقد ألف علمـاء العرب زمن المأمون أرصاداً وأزياجاً وغيرها ورصدوا

الاعتدالين وقدروا ميل تلك البروج وقاسوا الدرجة الأرضية ودرجة خط نصف النهار) .

وأول من اشتغل فى مساحة الكرة الأرضية ومحيطها وقطرها أحمد ومحمد وحسن أبناء موسى بن شاكر من بغداد وقد بنوا مرصداً لهم على طريق الجسر وفيه استخرجوا العرض الأكبر من عرض القمر ، وصنع عباس بن فرناس الأندلسى آلة لتقريب الأوقات ، ورسم للسماء منظراً طبيعياً بديعاً فى بيته .

الرياضـة :

اشتهر أن أول من ألف فى علم الجبر محمد بن موسى الخوارزمى (٧٨٠ - ٨٥٠) فقد وضع أقدم كتاب فى الحساب وأقدم كتاب فى الجبر وقد ترجمه إلى اللاتينية جرارد الكرمونى فى القرن الثانى عشر فاعتمدته جامعات أوربا حتى القرن السادس عشر ككتاب مدرسى رئيسى وبواسطته تطرقت إلى أوربا مبادىء علم الجبر ومعها لفظ (الجبر) نفسها وإلى كتب الخوارزمى يرجع الفضل فى نقل الأرقام الهندية - العربية إلى الغرب حيث سميت باسمه أول الأمر - وقد تأثر به عمر الخيام وله كتاب الجبر يمتاز عن كتاب الخوارزمى بالتنسيق وكثرة الحلول .

الجغرافيـا :

دفع المسلمين إلى دراسة هذا العلم فريضتا الصلاة والحج وقد كتب أحمد بن فضلان بياناً جغرافياً موثوقاً به عن روسيا ووضع

الخوارزمى كتاباً عن صورة الأرض وألحق به خريطة وإليها رجع المسعودى وعليها اعتمد وفى سنة ٦٠٣م انهى ابن الهمذانى (كتاب البلدان) - وألف المقدسى كتابه (أحسن التقاسيم) وقد طبع بلندن ، وصف فيه الجبال والأنهار والبحار والمدن وغيرها ، كما ألف العمرى (مسالك الأبصار) . وقال المسعودى فى التنبيه والإشراف ص ٣٥ : (أنه اطلع على عدة مصورات فرأى أحسنها الصورة المأمونية التى عملت للمأمون واجتمع على صنعها عدة من الحكماء صوروا فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك فى كتاب واحد (أى أطلس) .

مآثر أخــرى

المنــاجم :

قال جوستاف لوبون : احتقر العرب المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب وقد برعوا فى صناعة الصياغة ومهروا فى سقى الصلب الفولاذ مهارة بعيدة جداً حتى إن صفائح طليطـلة تعد من أصدق البراهين على ذلك .

النفــط :

واستعمله العرب قبل غيرهم ، وقد وقعت مهاجاة طريفة بين دريد ونفطويه فى القرن الثالث الهجرى ، قال ابن دريد :

أف لذا النحو وأصحابه ... قد صار من أصحـابه نفطويه
أحرقه الله بنصف اسمه ... وصير الباقى صراخاً عليه

وفى زمن هشام سنة ١٣١ هـ فتح الجنود حصون الصين بالنفط وفى الحروب الصليبية استعملوا النفط . يقول المؤرخ الفرنسى زانوبيه المتوفى سنة ١٣١٧ م وقد كان من بين المحاربين : (كان العرب يقذفوننا بنار كانت تأتى طائرة فى الهواء كالتنين المجنحة والمذيلة بذيل طويل - أى لها جناحان وذيل كالطائرة سمكها كسمك برميل طويل يدوى كالرعد القاصف وبسرعة كالنور وكان ظلام الليل ينعدم بتاتاً بضوئها المهلك .

البـارود :

اكتشف العرب بعد ذلك البارود . قال كوندى الأسبانى المؤرخ : « أول من استعمل البارود هم العرب عام ٩٠٦م ، ١٧٩هـ وهم الذين نقلوه إلى الأندلس وعنهم أخذه الإفرنج » ثم قال : وعرب الأندلس أول من صنع المدافع ولا تزال مدافعهم التى دافعوا بها عن غرناطة محفوظة فى أحد متاحف أسبانيا إلى اليوم » .

الدبابة :

أول من صنع الدبابة موسى بن نصير سنة ٩٢ هـ فى فتح الأندلس فى مدينة ماردة ذات الحصون المنيعة ، وقد كانت آلة تتخذ من نحاس وحديد وخشب وجلود ويدخل فيها الرجال فينقبون الحصن وهم فى أمان مما يلقى عليهم من قذائف .

الصواريخ :

استعملوا الصواريخ ، وفى وصفها يقول الشاعر :

إن في الصاروخ معنى لذوى الألباب عبرة
إن تعالى فهو فرد أو تدلى فهو كثرة

الطـيران :

أول من فكر فى الطيران عباس بن فرناس الأندلسى ، فقد كسا نفسه بريش وأقام جناحين وآلة لتحريكهما وطار بهما فى الجو ، ولكنه غفل عن أن يصنع لنفسه ذنباً ليعتمد عليه فى الهبوط فانكفأ ومات ، واحتال كذلك أبو القاسم الجوهرى فى نيسابور فأقام لنفسه جناحين من خشب وذيلا ثم صعد على المسجد ودعا الناس إلى مشاهدته ، وحرك الجناحين بمروحة متصلة بهما ، واعتلى فى الجو — ولكنه أدركته عاصفة قلبته فمات .

الورق والكتابة :

أقام هارون الرشيد مصانع للورق سنة ١٧٦ هـ وبعد ذلك انتشرت هذه الصناعة ، ووصلت إلى الغرب .. يقول الأستاذ كرد على : (وقد تعلم صناعة الورق فى دمشق اسيران فرنسيان على عهد الحروب الصليبية ، وهما اللذان نشرا هذه الصناعة فى فرنسا ، ومنها انتقلت إلى بقية أوربا فى القرن الحادى عشر) .

الحروف البارزة :

أول من أوحى بفكرة الحروف البارزة للعمليات هو على ابن يوسف بن الخضر المشهور بزين الدين الآمدى الذى فقد بصره،

فكان كلما اشترى كتاباً وضع فيه ورقة بشكل معين يهتدى به إلى اسمه وثمنه . وقد توفى الآمدى سنة ٧١٢ هـ - ١٣١٢م . وبهذا يعد أسبق من المسيو (برايل) الفرنسى صاحب الطريقة المعروفة التى أعلنها نحو سنة ١٨٤٢

الطبــاعة :

وقد عرف عرب الأندلس الطباعة فكانت السجلات تطبع فى دار وزير الناصر ، وقد نوه بها المؤرخ الأسبانى كوندى وقال : « لقد سبقوا (جوتنبرج) الألمانى ببضع قرون » .

الســاعة :

أول من اخترع الساعة الدقاقة هم العرب ، وأول من اخترع رقاص الساعة ابن يونس المنجم المصرى قبل الراهب (غاليلو) بستة قرون - وقد صنعوا ساعة ناطقة . ذكر النعيمى فى تنبيه الطالب والدارس فى وصف تماثيل الساعة التى بباب الساعات من الجامع الأموى فقال : « عليها عصافير من نحاس ووجه حية من نحاس وغراب ، فإذا تمت الساعة خرجت الحية وصفرت العصافير و صاح الغراب وسقطت حصاة) .

وقد أقاموا محاولات لاستنطاق الجماد قبل (أديسون) الأمريكى .. قال ابن إياس فى حوادث ١٩٨ هـ : « إن ملوك اليمن أهدت إلى الملك الكامل محمد ملك مصر شمعداناً (منارة للشمع من نحاس) يخرج منه عند طلوع الفجر شخص من النحاس لطيف الخلقة يخاطب

الملك قائلاً : « صبحك الله بالخير قد طلع الفجر » وقد بقى الشمعدان حتى أيام قلاوون ثم فقد ، وقد حاول القرافى محاولة أخرى ثم عجز عن الاتمام .

هندسة الرى :

ألف أبو عثمان النابلسى كتاباً بعنوان (رى الفيوم) سنة ٦٤٢ هـ وضع فيه نظاماً للانتفاع بكل قطرة من الماء ، وقد أشاد بهذا الكتاب المهندس الفرنسى لينان باشا وقال : « إن هندسة الرى فى أمريكا الحديثة لا شك أنها مقتبسة من رى النابلسى كانوه به المسيو سالمون فى محاضرة فى المجتمع العلمى الفرنسى » .

هذه مقتطفات وإشارات يسيرة عن نواحى النشاط العلمى لدى أسلافنا المسلمين ..

والآن نختم بكلمة مناسبة لهذا المقام قالها (ألفونس اتين دينيه) وننقلها هنا بإيجاز :

« وكانت دراسة العلوم الرياضية من الدراسات الذائعة لدى المسلمين وقد تقدم علم الجبر بفضلهم حتى قيل أنهم مخترعوه ، ولقد كان لهم قصب السبق فى تطبيق الجبر على الهندسة وهم الذين أدخلوا التماس فى حساب المثلثات ، وكان علم الفلك يدرس فى حماس فى مدارس بغداد ودمشق وسمرقند والقاهرة وفاس وطليطلة وقرطبة وغيرها .. تلك المدارس التى وصلت إلى اكتشافات عديدة يمكن إيجازها فى القائمة التالية :

إدخال خطوط التماس فى الحسابات الفلكية - وضع جداول لحركة الكواكب - تحديد سمت الشمس تحديداً دقيقاً وتدرجه فى النقص وتقدير تقدم الاعتدالين تقديراً صحيحاً - أول تحديد صحيح لمدة السنة » .

ويستطرد ألفونس أتيين دينيه قائلاً :

« ثم إننا مدينون لهم بإثبات ما فى أكبر خط عرض القمر من ضروب عدم الانتظام ، واستكشاف عدم التساوى القمرى الثالث المعبر عنه اليوم بالتغيير ، وقد نشروا رسائل تعرف الناس بأقطار العالم المختلفة المجهولة التى لم يسبق للأوربيين ارتيادها . فهناك خريطة للادريسى ترجع إلى عام ١١٦٠م تبين منابع النيل بين البحيرات الاستوائية الكبرى مرسومة رسماً دقيقاً ، وهى تلك المنابع التى لم يكتشفها الأوربيون إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .. وفى الطبيعة لهم معلومات ذات أهمية فى المسائل الضوئية ، واختراع أجهزة آليه من أبدع ما يكون ، واكتشاف أعلق الأجسام بأصل علم الكيمياء مثل الكحول والحامض الكبريتى ، وتطبيق الكيمياء فى ميدان الصيدلة والصناعات وخاصة فى استخراج المعادن وصناعة الفولاذ والصياغة وغير ذلك ، وكذلك يرجع إليهم الفضل فى صناعة الورق من الخرق .. وهم الذين اكتشفوا الأسلحة النارية ففى سنة ١٣٠٥ م استخدم الأمير يعقوب المدفعية فى حصار مدينة المهدية .

وفى الطب ابتكروا وسائل علاجية متعددة أقرها العلم الحديث كاستخدام الماء البارد فى علاج الحمى التيفودية ، وهم أصحاب

الفضل فى معرفة بعض المواد الطبية مثل الراوند والكافور والكحول ، وصنوف اللعوق واللزق والمراهم .

وفى الجراحة كان لهم فضل كبير فقد كانوا يعرفون علاج ماء العين (الكاتاراكتا) ويعرفون كيفية تفتيت الحصاة ، وعلاج النزيف بالماء البارد ، كما كانت لهم خبرة باستخدام الكاويات ، والأحزمة وكى النار لتطهير الجروح والتخدير الذى يظن أنه حديث يبدو أن العرب لم يجهلوه فقد كانوا يقومون باستعمال نبات الزوان قبيل العملية المؤلمة لتنويم المريض حتى يفقد الوعى والحساسية » .

أيها الإخوة :

هذه كلمة موجزة عن الإسلام وأثره فى حياة المسلمين ونهوضه بهم فى شتى نواحى الحياة .. فهل لنا أيها الإخوة أن نرجع إليه ونعتمد عليه ، وننفذ وصاياه ونسير على هداه حتى يرجع إلينا تراثنا المسلوب ، وعزنا المفقود :

يا أمة الإسلام جدوا وليكن ... لكم بأحمد اسوة حسناء
هل كان هذا الدين إلا دعوة ... فيها على جذم الشرور قضاء
هبوا لنصر الدين لا تتخاذلوا ... إن التخاذل فتنة وبلاء
ولتحرسوا الوطن العزيز بقوة ... خرساء يخشى بأسها الدخلاء
وخذوا بأسلحة الحياة فإنه ... ما عاش يوماً أمة عزلاء
لا تأمنوا روسيا وأمريكا فما ... فى النار للظمآن يرجى ماء

سيروا على حذر ولا تتورطوا فالبعد عنهم جنة ووقاء
إنا نسالم من يسالمنا ومن عادى فنحن لمثله أعداء
يا أمة الإسلام سيروا واسلكوا سنن النبى فإنها زهراء
فالله خص نبيه بشريعة فى طيها للعالمين رخاء
عضوا عليها بالنواجذ لا تنوا أو ما كفاكم ذلك الإبطاء

والسلام عليكم ورحمة الله

محمود عبد الوهاب فايد

القرآن دستور المسلمين

أذاع هذه الكلمة من محطة الإذاعة اللاسلكية بالكويت فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عبد الوهاب فايد عضو البعثة الأزهرية مساء يوم الثلاثاء ٤ رمضان سنة ١٣٧٩ هـ – أول مارس سنة ١٩٦٠م الساعة التاسعة إلا ربعاً بتوقيت الكويت أى الثامنة إلا ربعاً بتوقيت القاهرة .

أيها المستعمون الكرام ..

يقول الله تعالى ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ .

هذا شهر يذكركم بكتاب الله ، ويجدد الدعوة لكم بأن تأخذوا بتعاليمه ووصاياه ، ويرغبكم فى تلاوته ، ويحضكم على دراسته ويهيىء لكم الفرصة للتفقه فيه ، والتأمل فى معانيه ، والإنتفاع بما يتضمنه من أحكام وأسرار وقصص وأخبار .

هذا شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، والقرآن هو كتاب الله الخالد أنزله على رسوله الكريم ليوثق العلاقة بين الإنسان وربه وبينه وبين سائر المخلوقات حتى تنتظم عمارة الكون ، ويتم صلاح العالم .

أشاد القرآن بفضل الإنسان ونوه بمكانته فبين أن الله أعده لمنصب الخلافة قال تعالى : ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ وقال : ﴿ **وهو الذى جعلكم خلائف الأرض** ﴾ ومن يوم امتحن الله آدم وزوجه وهبط بهما إلى الأرض أعلنهما المولى بقراره الإلهى الذى أصدره ﴿ **اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم**

حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ ومن ذلك الحين توالت الرسالات وتتابعت الرسل ونزلت الكتب حتى انتهى الأمر إلى محمد ﷺ خاتم النبيين وإلى ما أنزل عليه من الكتاب المبين . قال تعالى : ﴿ **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير** ﴾ وهكذا نفذ الله القرار الذى أعلن به آدم وزوجه ونسله فبعث الرسل وأنزل الكتب وأعان أهل الحق وخذل أهل الباطل وقد اتفقت دعوة الرسل فى هدفها وطريقها ، فكلهم دعا وسعى بالحكمة والموعظة الحسنة لتوحيد القلوب ودفعها إلى الخير وتنفيرها من الشر والتوجه بها إلى إله واحد .

وفى دعوتهم هذه لم ينكروا بل لم ينكر الله عليهم أن ينالوا من الدنيا وطيباتها ما تقتضيه ظروف الحياة فى حدود الاعتدال وفق ما رسمه الله . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾ ولحكمة ما قدم الله ما أباحه للرسل من الطيبات على ما أوجبه عليهم من عمل وما كلفهم به من واجبات ليكون هذا باعثاً لهم ولسائر الناس على إجابته والإسراع إلى طاعته ، شكراً لله سبحانه على ما أسبغ من نعمته - بهذا جاءت الرسل واتفقت الرسالات فكلهم دعا إلى الله ورغب فى العمل الصالح ولذلك أوجب

القرآن أن نؤمن برسله جميعاً دون تفريق فقال : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾ وبهذا جمع القرآن الناس على مائدة واحدة وربط قلوب بعضهم ببعض وأزال أسباب النفرة بين أهل الأديان الحقة ، واتجه بهم إلى الله الواحد الأحد فى وحدة متناسقة ، ومن فضل الله علينا أن القرآن وهو خاتم الكتب جمع بطرق العبارة أو الإشارة كل ما يحتاج إليه الناس وينهض بهم ، ويعالج شئونهم فى كل نواحى الحياة ، فهو آية كبرى وحجة خالدة ، وعقيدةصافيه ، وعبادة هادية ، وقانون تام وسياسة ناجحة وإصلاح اجتماعى ، ونظام دولى ، ودائرة معارف يعتمد عليها المسلمون فى دينهم ودنياهم ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ نعم لقد تمت النعمة وكملت المنة فنحن فى غنى عن كل المبادىء والمذاهب والقوانين والدساتير الأجنبية شرقية كانت أم غربية قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ .

إن الله الذى خلق الناس لم يدعهم هملا ، ولم يتركهم سدى ، بل شرع لهم شرائع . وسن لهم قوانين أوجب عليهم أن يلتزموها

وألا يحيدوا عنها تطبيقاً لقراره القديم : ﴿ **فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ ولا ريب أن ما شرعه الله أحكم وأنفع مما صنعه الإنسان فالمولى هو الذى خلق الإنسان ، ويعلم ظاهره وباطنه وما ينفعه وما يؤذيه وما يلائمه وما يجافيه قال تعالى : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ وقال : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه** ﴾ فما قرره المولى فى القرآن من أحكام ينبنى على حكم إلهيه ، وأسرار ربانية ، قال تعالى : ﴿ **قل أنزله الذى يعلم السر فى السموٰات والأرض إنه كان غفوراً رحيما** ﴾ وأحكام الله سبحانه يسر لا عنت فيها ولا مشقة ، ولا كلفة فيها ولا حرج قال تعالى : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ وقال : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا** ﴾ ولا عجب فالرحمة صفة من صفات الله الذى أوحى بهذه الأحكام . قال تعالى : ﴿ **إن الله بالناس لرءوف رحيم** ﴾ وقال : ﴿ **ورحمتى وسعت كل شىء** ﴾ وهى صفة من صفات رسوله الذى نزلت عليه قال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ وصفة من صفات دستوره الذى نزل بها واشتمل عليها قال تعالى : ﴿ **فقد جاءتكم بينة من ربكم وهدى ورحمة** ﴾ فالرحمة كما سبق صفة من صفات الله ورسوله وكتابه . فلا بدع إذا لمسنا آثار هذه الرحمة تتجلى فيما جاءنا من أحكام ، وما ألزمنا به من تكاليف ، وحسب الباحث المفكر أن يقرأ فاتحة الكتاب ويتأمل هذا البدء العجيب الرائع

ليرى كيف يفتتح الله القرآن بما يلقى عليه الهيبة وما يبعد اليأس عن النفوس وبما يقيم الرابطة بين الإنسان وربه على أساس من الحب العميق والرحمة الشاملة التى وسعت كل مخلوقات الله فأول ما يقرع السمع ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ فباسم الله صدر هذا الدستور ولم يصدر باسم ملك متجبر ولا أناس لهم هوى يتحكم فيهم ، نعم صدر باسم الله الذى تنزه عن الهوى وعن العبث وعن السفه صدر باسم الله ليكون له وقع فى النفوس وهيبة فى القلوب تحمل على اتباعه وتقديسه والابتعاد عن التلاعب به لأنه صادر ممن بيده الملك وهو على كل شىء قدير . صدر هذا الدستور باسم الله الرحمن الرحيم ، وهكذا يستقبلنا دستور الله باسميه الرحمن الرحيم ليذكرنا برحمته الواسعة ، وليطمئننا على أن هذه الأحكام لاعنت فيها ولا مشقة لأنها صادرة من الرحمن الرحيم ، ويثني بعد ذلك المولى بقوله : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ فمنزل القرآن هو صاحب النعم جليلها ودقيقها أصولها وفروعها المستحق للحمد من جميع الخلائق فهو رب العالمين وليس رب المسلمين وحدهم بل هو رب المسلمين واليهود والمسحيين وغيرهم من الخلائق يتعهدهم بتربيته ، ويتولاهم برحمته ، وبهذا المطلع يلقى فى قلوب الناس جميعاً الرضا والأطمئنان إلى أحكامه ومبادئه ففيها ما ينفعهم ويحميهم لا ما يضرهم ويؤذيهم ومن لطف الله سبحانه أنه يعود بعد ذلك مباشرة فيقول : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ فيضع العالمين بين رحمتين رحمة سابقة ورحمة لاحقة .

هذا هو مطلع القرآن وما يوحى به . أما ختامه فهو إرشاد من الله لنا لنستعيذ به من كل ما يعكر النفوس ويهدد السلام ويثير

الخصام ويفسد العلاقات . فى هذا الختام يعلمنا المولى كيف نستعيذ به من كل ما يوحى بالشر إنسياً كان أم جنياً قال تعالى : ﴿ **قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس** ﴾ .

هذا هو بدء القرآن وهذا هو ختامه رحمة من الله تبعد عنا الشر وتجلب لنا الخير وتهدينا إلى الصراط المستقيم فما ظنك أيها المستمع الكريم بما يتخلله من أحكام ومبادىء هل يمكن أن تشذ عن هذا المطلع وهذا المقطع ، كلا ، إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم . لقد بين القرآن وهو دستور عالمى كل ما لزم الأمة فى حياتها ، وجاءت السنة وهى المذكرة التفسيرية لدستور القرآن موضحة ما اشكل مفصلة ما أجمل بتكليف ربانى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ .

لقد أوضح القرآن وأوضحت السنة واجب الحاكم والمحكوم وعلاقة كل منهما بالآخر وعلاقة المسلمين بعضهم مع بعض وعلاقتهم بغيرهم من المخالفين فى أرضهم وفى الدول الأخرى كما شهد بهذا الدارسون المنصفون .

فإلى الذين يتهيبون الإسلام ويتخوفون أحكامه نوجه إليهم هذه الكلمة فإن كانوا مخالفين لنا فى الدين من اليهود والنصارى قلنا لهم لا ترتاعوا واطمئنوا فالإسلام يطعمكم من جوع ويؤمنكم من خوف وطالعوا التاريخ يخبركم أن عمر بن الخطاب خرج ذات يوم فوجد يهودياً على باب المسجد يتكفف الناس فيسأله من أنت ؟ وما حالك ؟

فقال يهودى من أهل الكتاب أسأل الحاجة والجزية والسن . فقال ما أنصفناك أخذنا الجزية وقت شبابك وتركناك وقت هرمك ثم أخذ به إلى أمين بيت مال المسلمين أى والله إلى بيت مال المسلمين لا بيت مال اليهود – فقال عمر له : انظر هذا وضرباءه فأعطهم ما يكفيهم وأهليهم بالمعروف . كذلك يحدثنا التاريخ أن عمر بن الخطاب استدعى عمراً فاتح مصر ليحاسبه على جريرة ابنه وليمكن للقبطى من ضرب والده الذى أساء له وليقول له بعد أن اقتص منه القبطى هذه الكلمة التى دوت فى الآذان ووعتها الأذهان على مر الزمان : (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) هكذا أطعمهم الإسلام من جوع وآمنهم من خوف وحماهم من ظلم وحافظ على حرياتهم – وبعد فواجب على المسلمين فى أنحاء العالم أن يعودوا إلى كتاب الله ويحلوا حلاله ويحرموا حرامه ويقيموا حدوده وأحكامه عليهم أن يحتكموا إلى الشريعة الإسلامية ففيها ما يغنيهم عن القوانين الأجنبية ، عليهم أن يأخذوا بالكتاب كله حتى لا يكونوا ممن قال الله فيهم : ﴿ **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا** ﴾ إلى أمثال هؤلاء الذين يتجاهلون أحكام الله أو بعض أحكامه ويرتابون فى حدوده نوجه إليهم هذا السؤال : هل ترون أن كتاب الله انتهت مهمته وانقضت مدته وأحيل إلى المعاش فلا وظيفة له اليوم بين الناس لأن ما جاء فيه من أحكام الربا والحدود لا يمكن على زعمكم تطبيقه ولا يتيسر تنفيذه ، إذن فلماذا تعهد الله بحفظه بجميع ما فيه من أحكام الربا والحدود ؟ لماذا

ضمن الله له الخلود والبقاء فقال : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ هل حفظه الله ليستجدى به الناس على قارعة الطريق أو ليودع فى دار الآثار على أنه أثر عتيق . كلا . بل حفظه الله ليهدى الناس إلى الصراط المستقيم وليحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون قال تعالى : ﴿ **وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾ وقال : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ وقال ﷺ : (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله) رواه الترمذى

نسأل الله أن يهدينا وإياكم بهداه ..

محمود عبد الوهاب فايد

فهرس الكتاب

رقم الإيداع ١٩٨٨/٢٢٦٤

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
ت : ٧٧٣٢٢١